هو إلهي وخالقي ومعبودي (خطبة)





أحمد بن علوان السهيمي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 25/6/2020 ميلادي - 3/11/1441 هجري

الزيارات: 9375

هو إلهي وخالقي ومعبودي

الحمد لله الذي ذرأ وبرأ، فالق الحب والنوى، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وعلى آله وصحبه الكرام، ومَن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

يا عباد الله، لا إله إلا الله لو وُزنت بها السماوات وعامرهنَّ غير الله، والأرضون، لرجحت بها، لا إله إلا الله بطاقة تتطاير أمامها سجلات على مد البصر، فهو الإله الحق الذي لا يعبد بحق سواه، له خضعت السماوات والأرض طوعًا، علمه وسع كل شيء، ورحمته سبقت غضبه، حليم يمهل العاصي والظالم ليؤوب ويتوب، كريم يفرح بتوب العبد وهو ليس له حاجة بها، (يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا).

لم يخلق الخلق ليعذبهم، بل يخبرهم بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53].

الصنعة تدل على الصانع والخلق يدل على الخالق: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255]، السماوات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة بفلاة، والكرسي بالنسبة للعرش كذلك، فما أعظم خلقه سبحانه!

استمع إلى قوله في هذا الوصف المهيب: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67]، وانظر إلى عِظَم الجبال الرواسي كيف يصف سبحانه حالها عندما يتجلى لها الرب: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: 143]، وماذا يكون حلها يوم القيامة: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ [الواقعة: 5، 6]، وليس هناك من هو أعلم بالله من نفسه، فقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180]، وبيَّن فقال: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: 3]، وفسر هذا نبيه صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بخالقه، فقال: (أَنْتَ الْأَوَّلُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ).

وكلما كان العبد بربه أعلم كان له أخشى، قال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: 28]، وقال أتقى الورى وأخشاهم لربه: (أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ).

فبقدر معرفتك بالله وأسمائه وصفاته، تكون خشيتك له، فقد يسر لنا السبل وهيَّأ لنا الطرق، وقَبِلَ توبة التائبين وغفر زلة المذنبين، وبيَّن لنا هداه، وحفِظ لنا دينه القويم.

خلقنا لعبادته وخلق لنا ما في السماوات والأرض من فضله، فأعرضنا عمَّ خُلقنا له، وأقبلنا على ما خلق لنا، فما كان هذا حال سلفنا، فقد مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه وهم جلوس في حلقة، فقال: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟»، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟»، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ».

فكيف لنا أن نغفل عنه سبحانه وهو العظيم المتعال، وقد أمرنا بذكره، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 41]، وقال: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: 152]، هو القاهر فوق عباده له الأمر من قبل ومن بعد، المهيمن العزيز الجبار المتكبر يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، خزائنه ملأى يرزق من يشاء بغير حساب، عزَّ فحكم، لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون.

ذكرنا له وثناؤنا عليه فضلٌ منه ومنَّة، عزَّ جاهه وتقدست أسماؤه له الأسماء الحسنى, الصفات العليا له والكمال المطلق من كل الوجوه: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لا إله إلا أنت سبحانك لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي ظهر لأوليائه بنعوت جلاله، وأنار قلوب أصفيائه بمشاهدة صفات كماله، أحمده سبحانه وأشكره على عظيم نواله، وسابغ عطائه، وصلى الله وسلم على سيد أنبيائه وصفوة خليقته، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد:

فـ(الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حياة دائمة أزلية أبدية لا موت يعتريها، قائم بنفسه، فاستغنى عن جميع خلقه، ولا غنى لخلقه عنه، هو الصمد الذي انتهى إليه السؤدد في صفات الكمال والجمال الذي يصمد إليه الخلائق، لم يخلقنا عبثًا, ولم يتركنا هَمَلًا, وأعطانا كتابين لنتفكر فيهما، أما الأول فالقرآن العظيم لنتدبَّره: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 42]، والكتاب الآخر لنتأمل هذا الكون الفسيح: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: 53].

وبالنظر إلى مخلوقاته وأفلاكه، ترى فيها عجائب قدرته ودقة صُنعه، وبديع خلقه، وإتقان وتكامل ذلك في نسق بديع، وهذا النظام الذي يسير فيه هذا الكون سيرًا حثيثًا لا تقديم فيه ولا تأخير، كل شيء عنده بحساب، وكل من تأمل في صنع الباري، علم أنه من لدن لطيف خبير عليم حكيم؛ ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: 44].

وصلوا وسلموا على نبيكم ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56]، اللهم صلِّ وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واللهم جنِّبنا الفتنَ ما ظَهَرَ منها وما بطنَ، ربنا اغفرْ لنا ولوالدينا وجميعِ المسلمينَ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: 201].